

المحاضرة رقم (2): شبكة الملاحظة كأداة للقياس وجمع البيانات

الملاحظة هي إحدى الأدوات الكيفية في جمع البيانات، وتقوم على ملاحظة أنماط السلوك البشري والأفراد والأحداث وتدوينها بشكل مقنن للحصول على معلومات عن ظاهرة معينة، وتهتم الملاحظة مثلها مثل باقي الأدوات الكيفية بالوصف والتفسير أكثر من القياس والأرقام، وتهدف الملاحظة إلى تطوير فروض ونظريات.

1 - تعريف الملاحظة:

تعنى الملاحظة بمعناها البسيط الانتباه العفوي إلى حدث أو ظاهرة أو أمر ما، أما الملاحظة بمعناها العلمي فهي انتباه مقصود ومنظم ومضبوط للظواهر أو الأحداث أو الأمور، بغية اكتشاف أسبابها وقوانينها، وهي من أكثر الأساليب التي تستخدم لدراسة السلوك الظاهر للإنسان، وتتطلب تدريباً وخبرة طويلة وهي مشاهدة الظواهر بقصد عزلها، وفك ارتباطها بغيرها من الظواهر الأخرى، حتى يمكن تحويلها إلى ظواهر علمية قابلة للدراسة. والملاحظة كذلك وهي المشاهدة والمراقبة الدقيقة لسلوك ما أو ظاهرة معينة في ظل ظروف وعوامل بيئية معينة بغرض الحصول على معلومات دقيقة لتشخيص هذا السلوك أو هذه الظاهرة.

ويمكن لأي باحث تبويب الملاحظة، وتسجيل ما يلاحظه الباحث من المبحوث سواء كان ذلك كلاماً أم سلوكاً. أو هي توجيه الحواس لمشاهدة ومراقبة سلوك معين أو ظاهرة معينة وتسجيل جوانب ذلك السلوك أو خصائصه. وتعد البيانات الناتجة عن الملاحظة مفيدة وجذابة، لأنها تتيح للباحث فرصة جمع بيانات حية في مواقف حية، وتعطي الفرصة له للنظر إلى ما يجري في الموقع وليس ما يتوفر في متناول اليد، وهذا يمكن الباحث من فهم سياق البرامج، وأن يكون منفتح العقل واستقراءياً لرؤية الأشياء التي قد تغيب عن غير وعي، ولاكتشاف الأشياء التي قد لا يتحدث عنها المشاركون بحرية في حال استخدام المقابلة، كما تتيح الفرصة لتجاوز البيانات المستندة إلى الإدراك والتصور، والوصول إلى معرفة شخصية. ولأن الأحداث الملاحظة تكون أقل قابلية للتنبؤ، فهناك إنعاش لهذا النوع من البيانات.

2 - أنواع الملاحظة:

- **الملاحظة المباشرة وغير المباشرة:** الملاحظة المباشرة هي التي يقوم فيها الباحث بملاحظة سلوك معين من خلال اتصاله مباشرة بالأشخاص أو الأشياء التي يقوم بدراستها، أما الملاحظة غير المباشرة فهي التي يقوم بها الباحث بالاطلاع على السجلات والتقارير والمذكرات التي أعدها الآخرون، فحين يراقب الباحث عدداً من الطلاب المتسربين من المدرسة أو عدد من الطلبة ذوي السلوك العدواني فإنه يقوم بملاحظة مباشرة ولكنه حين يدرس ملفاتهم في المدرسة وتقارير معلمهم فإنه يقوم بملاحظة غير مباشرة.

- **الملاحظة المحددة وغير المحددة:** حين يكون لدى الباحث تصور مسبق عن نوع المعلومات التي يلاحظها أو نوع السلوك الذي يراقبه، تكون ملاحظته محددة، أما في الملاحظة غير المحددة فيقوم الباحث فيها بدراسة مسحية للتعرف إلى واقع معين أو لجمع المعلومات والبيانات.

- **الملاحظة بالمشاركة والملاحظة دون المشاركة:** حين يقوم الباحث بإجراء ملاحظاته من خلال القيام بدور المتفرج أو المراقب فهذه ملاحظة بدون مشاركة، أما الملاحظة بالمشاركة (الكلية أو الجزئية) فهي التي يجريها الباحث أثناء مشاركته لمن يدرسهم في الأنشطة التي يقومون بها فيعيش الباحث الحدث نفسه كعضو في الجماعة التي يلاحظها (بشكل صريح بحيث يعلن الباحث عن نفسه للعينة بأنه يرغب العمل في التنظيم كباحث، أو بشكل مستتر لا يفصح فيها الباحث عن نفسه لعينة البحث) فالباحث الذي يمثل دور السجين ويعيش بين المسجونين لدراسة سلوكهم فإنه يقوم بالملاحظة بالمشاركة، أما الباحث الذي يدخل السجن كباحث فإنه يقوم بالملاحظة دون مشاركة.

- **الملاحظة المقصودة والملاحظة غير المقصودة:** الملاحظة المقصودة يقوم فيها الباحث بالاتصال الهادف بموقف معين أو أشخاص معينين لتسجيل مواقف معينة، والملاحظة غير المقصودة (العرضية) يلاحظ فيها الباحث عن طريق الصدفة وجود سلوك ما.

3 - إجراءات الملاحظة:

تمر عملية الملاحظة بعدد من الخطوات التي تساعد في تحقيق الأهداف المتوخاة منها، وتتلخص هذه الخطوات فيما يلي: (العساف، 1995) (عبيدات وأبو سمير، 2002)

• تحديد مجال الملاحظة: وفقا لأهداف الدراسة، ومكانها، وزمانها.

مثال: في دراسة بعنوان: أنماط التفاعل اللفظي بين المعلمين والطلبة في حصص مادة الرياضيات.

مجال الملاحظة هو: التفاعل اللفظي بين المعلم والتلاميذ.

المكان: غرفة الصف.

الزمان: حصّة الرياضيات

• إعداد بطاقة الملاحظة: وتشمل أنماط السلوك المتوقع ملاحظته، ففي المثال السابق ستحتوي بطاقة

الملاحظة على البيانات التالية: مدة كلام المعلم بالدقائق، ومدة كلام الطلاب بالدقائق، والتوجيهات التي يصدرها المعلم، وأنماط الثناء والعقاب التي يستخدمها.

• التأكد من صدق الملاحظة: ويتم ذلك عن طريق:

- إعادة الملاحظة أكثر من مرة وعلى فترات متباعدة.

- مقارنة ما يلاحظه الباحث مع ما يلاحظه باحث آخر في نفس المجال، حيث يعتمد بعض الباحثين لتدريب.
- مساعدين لهم على الملاحظة حتى يقارن ما يلاحظه المساعد مع ما يلاحظه هو.
- **التسجيل أثناء المقابلة بدون تأجيل:** وقد يعتمد بعض الباحثين لاستخدام أدوات التسجيل أو الكاميرات إلا أن ذلك يجب أن يتم بموافقة الأشخاص المعنيين بالملاحظة وفي مواقف طبيعية.

4 - اختيار الملاحظين وتدريبهم:

- من ميزة استخدام الأفراد الآخرين أثناء تسجيل الملاحظات أن ذلك يسمح بضبط تحيز الملاحظ الذي يمكن أن يحدث إذا كان الملاحظ هو نفسه الباحث الذي صمم منهج البحث ووضع فروضه.
- بالإضافة إلى ذلك إذا كان هناك ملاحظات أو أكثر حصلنا على نفس التدريب ويقومان بملاحظات مستقلة يستطيع الباحث تحديد درجة ثبات الملاحظات.
- أكثر الملاحظين دقة يكونون عادة أذكاء وذوي طلاقة لفظية ولديهم دافع قوي للقيام بالمهمة.
- الخطوة الأولى في تدريب الملاحظين هي مناقشة أدوات الملاحظة معهم، ووصف كل مفردة في الأداة (شبكة الملاحظة) وصفا كافيا حتى يفهموا بعمق ما الذي يلاحظونه، وكيف يسجلون ملاحظاتهم.
- إقامة ملاحظات تدريبية يشارك فيها الملاحظون المدربون.

5 - الخطوات الضرورية لإجراء الملاحظة:

- تحديد الهدف الذي يسعى الباحث إلى الحصول عليه
- تحديد الأشخاص المعنيين بالملاحظة مع الأخذ في الاعتبار ضرورة الاختيار الجيد والملائم لهؤلاء الأشخاص
- تحديد الفترة الزمنية اللازمة للملاحظة بحث تتناسب مع الوقت المخصص للباحث.
- ترتيب الظروف المكانية الملائمة للملاحظة.
- تحديد النشاطات المعنية بالملاحظة (ما يتطلب معرفته من الملاحظة)
- جمع المعلومات بشكل نظامي ثم تسجيلها.

6 - مبررات استعمال الملاحظة:

- من المزايا الأساسية لطرق الملاحظة هي أنها تقضي على عيوب الأساليب التي تعتمد على الملاحظة الذاتية مثل (الاستبيان والمقابلة).
- الملاحظة تقلل من المشكلات التي ترجع إلى تحيز التقارير الذاتية.
- المعلومات التي يحصل عليها لا تتأثر بعوامل التذكر التي تتأثر بها الاستجابات التي يعطيها المستجيب في المقابلة.

تساعدنا على استكشاف سلوكيات ينظر إليها الأفراد موضع الدراسة على أنها مسلمات إلى الحد الذي يجعلها لا تلفت نظرهم.

7 - تسجيل الملاحظة:

يمكن تصنيف إجراءات تسجيل الملاحظات في أربعة أنواع رئيسية هي:

- **تسجيل الفترة الزمنية:** في هذا النوع من التسجيل يقيس الملاحظ الفترة الزمنية التي يحدث فيها السلوك الملاحظ ويستخدم عادة الملاحظ ساعة توقيت مضبوطة لهذا الغرض (ملاحظة التفاعل الاجتماعي لطفل معين داخل الروضة).

- **تسجيل عدد مرات حدوث السلوك:** وفي هذا النوع من التسجيل يسجل الملاحظ عدد المرات التي يحدث فيها السلوك الملاحظ، ويستخدم الملاحظ في هذه الحالة أوراق خاصة بالعلاقات التكرارية، وأنسب أنواع السلوك الذي يمكن تسجيله هنا هو تكرار السلوك ذو الفترة الزمنية القصيرة.

- **التسجيل المستمر:** تطلب هذا النوع من التسجيل جميع أنواع السلوك الصادرة عن الفرد الملاحظ أو الأفراد الملاحظين لفترة زمنية محددة، ولا يركز هذا النوع عادة على مجموعة معينة من أنواع السلوك، بل يكتب الملاحظ "بروتوكولا" يروي فيه بشكل قصصي التتابع الزمني للأحداث لكل شيء يقوم به الفرد أو كل شيء يحدث في موقف معين، مثل قاعة الدرس، سلوك الأطفال داخل الروضة ... وهنا يركز الباحث (الملاحظ) على الأحداث والمظاهر الأكثر ارتباطا بمشكلة البحث.

8 - الوسائل المستخدمة في الملاحظة:

نظرا لأهمية الملاحظة في حياتنا اليومية، ولكثرة الاعتماد عليها في إصدار الأحكام وتقييم السلوك، فقد طور علماء القياس والتقويم وسائل مقننة لتسهيل عملية الملاحظة وإجرائها بشكل مناسب، ومن هذه الوسائل:

- قوائم التقدير.

- سلم التقدير.

- السجلات القصصية

- بطاقات الملاحظة استمارات البحث: وتحتوي هذه البطاقات على مجموعة من النقاط التي تؤخذ بعين الاعتبار عند الملاحظة، وتعمل هذه النقاط موجّهات للباحث تساعد على تسجيل نتائج الملاحظة بصورة أسرع، وتضمن عدم إغفال أي دليل يتعلق بالمشكلة، كما تجعل من الملاحظة أداة موضوعية تساعد على تصنيف البيانات بطريقة موحدة، وقابلة للمعالجة الإحصائية الدقيقة.

7 - الشروط اللازمة للملاحظة:

للملاحظة ثلاثة شروط:

- **الانتباه:** وهو الشرط الأول للملاحظة الناجحة، والانتباه يعني التهيؤ الذهني الذي يقوم به الفرد لكي يحس بالمشيرات العديدة التي تحيط به من كل جانب، ومن دون هذا التهيؤ لا يمكن للفرد أن يكتسب أية معلومات دقيقة عما يحيط به.

إن الانتباه يعين الباحث على انتقاء مشيرات معينة يقوم بملاحظتها، واستقبال رسائل منها، لأنه ليس في مقدور باحث أن يلاحظ أشياء متعددة وبشكل دقيق في وقت واحد؛ إذ لابد من التركيز الذهني على الشيء الملاحظ.

- **الإحساس:** بالانتباه يصبح الفرد أكثر وعياً بالمشيرات التي تحيط به، فيحس بها بشكل عام، إما على هيئة أشكال أو أصوات أو صور أو روائح أو مذاقات أو غير ذلك، وكلما كان الإحساس حاداً كانت الملاحظة أقوى، إلا أن الحواس قد تخدع في بعض الأحيان لأن لها حدوداً معينة، ومن ثم لا يوثق بها دائماً، ولذلك لا بد من التسليح بآلات وأدوات مبتكرة.

- **الإدراك:** ليست الملاحظة إحساساً فقط، وإنما هي إحساس مضاف إليه إدراك أي إن الإدراك هو تفسير للإحساس في ضوء أمور من بينها الخبرة السابقة، والعمليات الفكرية، ومن هنا كان اختلاف تفسيرات الناس لحادث واحد يشاهدونه أو يسمعون.

8 - مزايا وعيوب استعمال الملاحظة:

• مزايا الملاحظة:

- تمكن الملاحظة، والمشاركة الباحث من رؤية المبحوث والاستماع إليه.
- مشاهدة الأفعال والسلوكيات المختلفة، وملاحظة التفاعلات، والانفعالات والنوايا والمقاصد، في وسطها الطبيعي الذي لا تحققه المعامل والمختبرات.
- تعطي الباحث فرصة للتأكد من الأشياء الممكن مشاهدتها.
- تمكن الباحث من التعرف على مشاكل المبحوثين.
- أنها وسيلة لاختبار إجابات المبحوثين التي أدلوا بها عن طريق الاستبيان أو استمارة المقابلة، لأن الفعل قد ينطبق مع القول، وقد يخالفه.

• عيوب الملاحظة:

- قد لا يعبر الفعل والسلوك المشاهد عن النوايا والمقاصد الباطنية الداخلية، أي قد لا تكون هناك مصداقية بين الفعل والموضوع.

- قد تدخل آراء الباحث الخاصة في تفسير الموضوع أو الأفعال المشاهدة والملاحظة، وإصدار تعميمات عليها.

- قد يتأثر الباحث برؤية الجماعة خاصة إذا كانت منغلقة على ذاتها مما يجعل الدراسة فاقدة لمبدأ المهنية العلمية، كأن يشارك جماعة دينية متزمتة، أو جماعة متطرفة في الإلحاد، فإذا تأثر فإنه يكون منحازاً لرؤية خاصة، وإذا مارس أفعاله فقد يكون تحت طائلة القانون مجرماً.

- أن الملاحظة بالمشاركة قد تتعارض مع القوانين، والأعراف، والأديان، لأن مشاركة الباحث للجماعة التي تتعاطى الحشيش في ارتكاب الفعل تجعله في قائمة المنحرفين، وليس في قائمة البحوث العلميين.

- لا تفيد المشاهدة أو الملاحظة أحياناً في دراسة الأزمات والاختلافات الأسرية.

المراجع:

- عادل محمد العدل. (2014). *مناهج البحث في العلوم الإنسانية*، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
- رشيد زرواتي. (2008). *تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية*، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- رجاء محمود أبو علام. (2006). *مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية*، ط5، دار النشر للجامعات، القاهرة مصر.
- حسام محمد مازن. (2012). *أصول مناهج البحث في التربية وعلم النفس*، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة مصر.
- عامر إبراهيم قنديلجي. (2012). *منهجية البحث العلمي*، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
- زغيب شيماء ذو الفقار. (2009). *مناهج البحث والاستخدامات الإحصائية في الدراسات الإعلامية*، ط1، الدار المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع.
- ربحي مصطفى عليان. (2009). *طرق جمع البيانات والمعلومات لأغراض البحث العلمي*، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
- سيف الإسلام سعد عمر. (2009). *الموجز في منهج البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية*، دار الفكر آفاق معرفة متجددة للنشر والتوزيع، دمشق سوريا.